المحاضرة الرابعة: النظريات الاجتماعية المعرفية

تمهيد:

توجد اليوم مجموعة من النظريات التربوية التي تُركّز اهتمامها على الأبعاد الاجتماعية والثقافية للتعلّم، حيث تؤكّد على المكانة الهامة التي يحتلّها التفاعل الاجتماعي والثقافي في آليات التعلم، ويشكّل وعي المدرّسين بضرورة إعطاء أهمية للشروط الاجتماعية والثقافية للتّعلّم نقطة انطلاق النظريات الاجتماعية المعرفية، فالكثير من التحاليل والملاحظات التي قام بها علماء التربية، توصّلت إلى استنتاج مفاده:

إنّ الرغبة في تحقيق تعلّم مستديم تعتمد على ما نُولّيه من اهتمام بالشروط الاجتماعية والثقافية.

1-النظريات الاجتماعية المعرفية للتعلم الاجتماعي:

يعتبر باندورا " Bandura " أحد المفكّرين الأوائل في التعلّم الاجتماعي، و الذي يهتم بالخصائص الشخصية للمتعلم، و أنماط السلوك، و البيئة.

"فمنذ 1962 بدأ يهتم بالأصول الاجتماعية للفكر، وشرع في إجراء بحوث حول التعلّم بواسطة التقليد

حيث اتّضح له أننا نتعلّم كثيراً باتخاذنا أشخاصاً آخرين كنماذج، و أن للوسائل السمعية و البصرية تأثيرا كبيرا جدا على سلوكاتنا...وكان هذا الباحث يرفض النظريات الإنسانية التي تُقِيم كل شيء على الشخص.

المبادئ:

التأثير المتبادل: تقوم النظرية الاجتماعية المعرفية على مفهوم التأثير المتبادل بين العوامل الاجتماعية

والثقافية والعوامل الذاتية، والعوامل السلوكية في التعلّم وفي الممارسة...و بتعبير أدّق يتأسس التعلّم على

تفاعل هذه العوامل الثلاثة ، أي تتطوّر المعرفة والسلوك من خلال تبادل التأثير بين تلك العوامل الثلاثة : الوقائع التي تحدث في البيئة، خصائص الفرد، و السلوكات.

التعلّم غير المباشر :و تفيد هذه الخاصية أنّ تعلّم الأشياء لا يَحْدُثُ بقيام الفرد بها بالضرورة، بل يمكن للفرد أن يتعلّم بملاحظته لأشخاص آخرين يقومون في مكانه بعمل هذه الأشياء، لأنّ كل فرد يمتلك القدرة على انجاز تعلّم اجتماعي بطريقة غير مباشرة مثال :يمكن للفرد أن يُصاب بخوف مرضي من الثعابين لمجرد رؤيته أن فردا آخر يهلع منها.

التمثيل الرمزي :تكمن الخاصية الثالثة للتعلّم الاجتماعي المعرفي في التمثيل الرمزي، فأفكارنا وأفعالنا

تنتظم بواسطة التمثّلات التي نكوّنها حول كل ما يجري في المحيط، ويرى باندورا أن الكائن الانساني

يمتلك قابلية للتّشكل تتوقّف على من يكوّنه، وعلى ما يفعله، وعلى ما يريد فعله، وعلى ما يرى الآخرين أنّ باستطاعته أن يفعله بالفعل .إنّه يمتلك قدرات مختلفة تجعل منه كائناً إنسانياً، فهو يمتلك أفكاراً ويبلغها، كما أنّه يتصرّف انطلاقا منها، وباستطاعته أن يُكَوِّن لنفسه صورة عن المستقبل ويحدّد أهدافا خاصّة به، فالفرد سيتصرّف فعلا انطلاقاً من تمثّله لما يُمكن أن يحدث في المستقبل، و هذا التمثيل الرمزي أو المعرفة يتضمن النظم اللغوية والصورالذهنية والرموز الموسيقية والعددية، و تتوقف قيمة هذا التمثيل في سلوك الإنسان على المطابقة الوثيقة بين النظام الرمزي و الأحداث الخارجية الذي يشير إليها .

إدراك الفرد لفعاليته :تكمن هذه الخاصيّة في نوع الإدراك الذي يُكوّنه الفرد عن قدرته على التفوّق وعن فعالية معالجته وتدخلاته...وتجدر الإشارة إلى أنّ فكرة التوقف عن الشعور بالخوف وأنّ فكرة الإيمان بالقدرة على التفوّق موجودتان منذ زمن بعيد، إلاّ أن باندورا ركز على نظرية في التعلّم تأخذ بعين الاعتبار الدور الهام الذي يلعبه نوع إدراكات الفرد لفعالية تصرفاته، يتوقّف التّعلّم والسلوك على نوع الحكم الذي يُصدره الفرد على قدراته، ومن ثمّة فإنّ التصوّر الذي يكوّنه الفرد عن قدرته على إنجاز مهمة معينة، يؤثّر بالتأكيد على نتائج سلوكاته المستقبلية، وهكذا تكون حظوظه في تحقيق النّجاح كبيرة كلّما كان هذا الفرد يؤمن بقدرته على التفوّق، إنّ تحقيق النجاح في أي إنجاز يؤدّي إلا تعديل على مستوى إدراك الفرد لقدرته على التفوّق والعكس.

الضبط الذاتي " :إنّ الفرد يملك القدرة على ضبط ذاته فهو ليس تحت رحمة بيئته، ولا تحت رحمة غرائزه، إذ بإمكانه أن يتحرّك انطلاقا من حاجاته، ويُغيّر أفعاله حسب النتائج التي يحققها، وبإمكانه أيضا أن يُفكّر فيما يجري وأن يقوم بتحليل ذاتي، بل بإمكانه أن يحلل طريقة تفكيره ويغيّر إدراكه الشخصي وتصرّفاته.

النمذجة :أي يتعلّم الفرد بواسطة تقليد الآخرين، " ففي بعض الأحيان يختار الفرد شخصاً آخر كنموذج ويقلّده في العديد من سلوكاته.

أمّا الفرق بين التعلّم غير المباشر والتعلّم بالنمذجة فيكمن فيما يلي :ففي الحالة الأولى يتم التعلم من خلال ملاحظة سلوكيات فرد آخر، بينما يتم التعلّم وفق الحالة الثانية انطلاقا من نتائج سلوكيات الفرد ذاته.

-الإستراتيجيات التربوية

عرض نماذج من السلوك على الطلبة :يميل المتعلّمون إلى تبنّي سلوكات بعض الأشخاص الذين يعتبرونهم كنماذج، و عليه يجب على المدرّسين إيجاد نماذج من السلوك لتعليمها و تقديمها للطلبة، فإذا ما أردنا مثلا أن نقدّم درسا في المسؤولية فسيكون من الأفضل، إضافة إلى الشروحات التي تقدَّم، استضافة شخص في القسم يعتبره المجتمع مسؤولا(طبيب مثلا)، و إثارة تفاعلات بينه و بين الطلبة للتأثير فيهم.

تقويم وتبرير قيمة السلوكات :يؤكّد باندورا أنّ التعلّم يتوقّف على القيمة التي نعطيها للنتيجة، ولذلك ينبغي أن نبيّن للطلبة منفعة كل تعلّم، فالطلبة يتعلّمون أحسن إذا تبيّنت لهم فائدة هذا التعلّم أو ذاك بالنسبة للحياة، أو إذا اتضحت لهم الفائدة التي سيكسبونها من تعلّم معيّن بالنسبة لتعلّم لاحق.

تعزيز سلوكات التلميذ :من المهم جداً القيام بتغذية راجعة إيجابية لكل طالب يحقّق تقدّماً في تعلّمه، لأنّها تسمح له بتكوين صورة إيجابية عن ذاته بإدراكها كذات قادرة على القيام بالمهام المطلوبة، غير أنّه من الممكن اللجوء إلى العقاب للتقليل من القيام ببعض السلوكات.

الممارسة: يوصي باندورا بالجمع بين النظرية والتطبيق، فمثلا من الصعب جدّا أن نتعلّم الكتابة دون ممارستها.

2-النظرية الاجتماعية التاريخية:

ظهرت هذه النظرية على يد Vygotsky حيث كان من السباقين إلى التأكيد على أهمية التفاعل بين الطفل و بيئته، " وركز على أهمية تدخل الراشد كوسيط في بناء تعلمات الأطفال، و حتى في تحديد اتجاه نموهم، و طبيعة سلوكياتهم، كما يؤكد على الأهمية التي يحدثها التفاعل الحاصل بين الأطفال وأقرانهم والآباء و المعلمين في ذلك، فالمعلمون خاصة إذا ما كانوا قادرين على احترام الإيقاع الخاص بالمتعلم، وخاصة الجوانب النمائية والثقافية منها، و كانوا قادرين على رصد وتحديد اللحظة التي تكون فيها أية قدرة من قدرات المتعلم قد اكتملت ليقوموا بتقديم أنشطة جديدة تمكن هذا المتعلم من تنمية قدرة جديدة، هذه اللحظة هي التي أطلق عليها Vygotsky بحيز النمو الموالي

و هي اللحظة التي يكون فيها المتعلم قادرا حين تُقَدَم له المساعدة (مساعدة الراشد) على حل مشكل حياتي أو معرفي ما .

كما ينظر إلى الثقافة باعتبارها السلوكيات المقبولة اجتماعيا والمواقف والمعتقدات، كما أن التفاعل الاجتماعي يلعب دور أساسي في تطوير الإدراك، و يظهر مدى تطور الطفل الثقافي مرتين

الأولى على المستوى الاجتماعي ولاحقا ا على المستوى الفردي، فبداية يظهر بين الناس وبعد ذلك داخل الطفل و هذا ينطبق على حد سواء، على الانتباه الطوعي و الذاكرة المنطقية وتشكيل المفاهيم، وكل الوظائف العليا.

-المبادئ:

منطقة النمو المحتمل :يطرح Vygotsky مفهوم منطقة النمو المحتمل في كتابه Mind in society ليصف الوظائف التي تكون في حالة تحول عند الطفل، فهو يعرفها بالفارق بين مستويين، مستوى النمو

المشاهد و هو ما يقاس بمدى قدرة الطفل على حل المشكلات بمفرده، و مستوى النمو المتوقع الذي يقاس بمدى قدرة الطفل على حل المشكلات عندما يساعده شخص آخر.

فإذا افترضنا أننا نريد تعليم شخصين في نفس السن لعبة معينة لا يتقنها كلاهما، فسنفترض أنهما سيصلان إلى نفس النتيجة، أي أن النمو لديهما سيكون متساو، " غير أننا إذا ما أخذنا بعين الاعتبار – أثناء تعليمهما اللعبة – قابليتهما المختلفتين لممارسة اللعبة و مجهوداتهما في التعلم ، فإننا سنحكم على نموهما بعدم التساوي، لذلك يمكن القول أن منطقة النمو المحتمل تقوم على مسلمتين هما :مسلمة وجود إمكانية للنمو، و مسلمة ضرورة الوساطة الاجتماعية الثقافية.

الوساطة الاجتماعية الثقافية :تتميز منطقة النمو المحتملة بأنها اجتماعية و ثقافية، فالشخص يقلد في تعلمه معلمه الذي يمارس أمامه موضوع التعلم، فالتلميذ مثلا يتعلم الكتابة كما يكتب معلمه، أي أنه يتأثر بثقافة المعلم، و هذا ما يجعل من التعلم عملية اجتماعية و ثقافية.

3-نظريات التعلم السياقي:

تزايد الاهتمام بتأثير التفاعلات الاجتماعية في تطوير الذكاء و التعلم

يهتم رواد هذه النظرية فيما يسمى بأثر الحياة اليومية على التعلم، حيث أنه من غير الممكن عزل تحصيل المعرفة عن سياقها البيداغوجي و الثقافي و الاجتماعي...كما أن تجاهل سياق التعلم يتناقض مع مهمة التربية الأساسية و التي تكمن في تزويد التلميذ بالمعارف التي تنفعه في الحياة اليومية.

الاستراتيجيات التربوية :

يتعلم الفرد في مواقف واقعية شبيهة بمواقف الحياة اليومية :فكلما كان من الممكن استدراج المعارف ضمن سياق واقعي، كلما كان من الممكن الحديث عن تحصيل المفاهيم.

يتعلم الشخص مع الآخرين و يتقاسم معهم معارفه و مشاكله و اكتشافاته في سياق اجتماعي :

يتعلم الفرد داخل الجماعة من خلال التعليم المتبادل و الحوار و الذي يعتمد على حضور أولياء الأمور و شركاء اجتماعيين آخرين بهدف خلق مواقف يتقاسم فيها أفراد الجماعة المعرفة، و هذا ما يعلم التلاميذ كيف ينتقلون من عالم مصغر خاص بكل واحد منهم، إلى عالم أكثر تعقيدا و أكثر اتساعا.

يتعلم الشخص كيف يتجاوز المعوقات.